المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣ — الموافق ٣ ذي القعدة سنة ١٣٢٠

رجال المال والاعمال

اذا عدَّ ارباب المال والاعمال الذين دار ذكرهم على الالسنة في الشهر الماضي وكثر تحدث الصحف بهم فتشمبرلين الوزير الانكليزي وكروب العامل الالماني في مقدمتهم. وهذان الرجلان ليسا من العصاميين مثل اغنياء اميركا اي لم ينشآ من حضيض الفقر والذل بل نشآ في نعمة لكنهما انمياها ووسَّعاها حتى صارا من ارباب الاعمال الكبيرة وكبار الاغنياء المثرين وهاك ترجمة وجيزة لكلٍّ منهما تلائم ما نشرناهُ حتى الآن من ترجمات رجال المال والاعمال

تشمبرلين

المشهور ان تشمبرلين من رجال السياسة لا من رجال المال ولا من رجال الاعمال. ولا شبهة في انهُ من اكبر ساسة العصر ولعلَّ مقامهُ السياسي الآن في انكلترا اعظم من مقام كل سياسي آخر لكنَّ مقامهُ المالي ليس دون مقامهِ السياسي والاول اساس الثاني ودعامتهُ

ولد في اواسط سنة ١٨٣٦ فقد ناهز الآن سن الشيخوخة لكن الناظر اليهِ يظنهُ كهلاً في الخمسين من العمر. ودرس في مدرسة لندن الكليَّة ولم يستطع ان يطلب العلم في مدرسة من مدارس الانكليز الجامعة كاكسفرد او كمبردج او ادنبرج لان هذه المدارس كانت تقفل ابوابها في وجوه الموحدين وكان ابوهُ منهم وهم فئة من البرتستانت لا تعتقد بالوهيَّة المسيح. ومن المحتمل ان اقتصارهُ على الدرس القليل افادهُ ولم يضرَّ بهِ لانهُ لم يغرهِ بالاتكال في العلم ومضايقهِ ولو فعل ذلك لصار من العلماء المتبحرين الذين يشار اليهم بالبنان ولكن نفعهُ لنفسهِ ولامتهِ لم يكن قدر ما هو الآن

كان ابوهُ يبيع الاحذية بيع تاجر لا بيع صانع واشتهر بعلو الهمة وشدَّة الحزم مع شيء

من الدعة فورث منهُ مقاماً في التجارة ودراية في تعاطيها . ولما صار لهُ ١٦ سنة من العمر اطلعهُ ابوهُ على اسرار صناعتهِ وادخلهُ معمل الاحذية فتعلَّم صناعتها ونشأ اسكافيًّا من الاساكفة وتاجرًا من التجار . وقد وقف خطيبًا في جمعيَّة الاساكفة منذ بضع سنوات وقال " اني بقيت في مدينة لندن الى ان صار عمري ١٨ سنة وكان يمكنني ان اقول حينئذٍ ما لا يستطيع كثيرون من اعضاء هذه الجمعيَّة ان يقولوهُ وهو ان ابي وجدي وابا جدي من الاساكفة الذين تعاطوا هذه الصناعة على التعاقب في بيت واحد مئة وعشرين سنة وفي هذا المكان وقفت مع ابي وانا فتًى وخطبت الخطبة الاولى "

لكن تعلُّمَ السكافة واتصالهُ بجمعيَّة الاساكفة لم يطولا الَّا سنتين فان زوج عمتهِ واسمهُ تلفورد كان يصنع لوالب الخشب واشترى امتيازًا بطريقة لعمل اللوالب من مخترعها واقنع ابا تشمبرلين أن يأتي الى مدينة برمنهام ويشاركهُ في هذا العمل فاشترك الاثنان ودأبا زمانًا طويلاً الى ان تكللت اعمالهما بالنجاح وصار لهما معمل كبير لعمل اللوالب . وكان يُصنَع في برمنهام سنة ١٨٦٥ نحو ١٩ مليون لولب كل اسبوع ونحو ١٣ مليون لولب منها تصنع في معمل تلفورد وتشمبرلين (واللولب يعمُّ ما يسمَّى في مصر بالفتيلة والالاووظ والبرمة وما يسمَّى في الشام بالبرغي)

والشائع ان الاباء ينشئون الاعمال الكبيرة مبتدئين من اسسها واولادهم يرثونها قائمة الاركان مشيدة البنيان فيتولون ادارتها وهم يجهلون مبادئها فتضعف في ايديهم رويدًا رويدًا الى ان تزول اما صاحب الترجمة فشارك اباهُ وزوج عمتهِ في عمل اللوالب وكل ما يتعلَّق بها ولم يقتصر على ذلك بل عني بالقسم التجاري من العمل وهو القسم الاهم اي بيع اللوالب الى التجار وفتح الاسواق لها في اقطار المسكونة . وجرى ابن عمتهِ مجراهُ فتعلَّم صناعة عمل اللوالب مثلهُ وكان يشارك العمَّال في عملها

ولم تكن اللوالب دقيقة من رؤوسها كما هي الآن فكان التجار يضطرُّ ان يثقب لها ثقبًا تدخل فيهِ واستنبط تشمبرلين طريقة تُصنَع بها دقيقة من اعلاها كما ترى في صورتهِ ونال امتيازًا بذلك فراجت لوالبهُ اكثر من كل اللوالب واتسع معملهُ حتى صار فيهِ اربعة آلاف عامل وجمع من ذلك ثروةً وافرةً جدًّا . ومصدر ثروتهِ اتقانهُ عمل اللوالب وابتياع المعامل الصغيرة وضمُّها كلها الى معمل واحد وترويج مصنوعاتهِ في المسكونة . وقد تعب في كل فرع من هذه الفروع وبذل اقصى الجهد لنيلهِ واعتمد على الاقيسة الفرنسوية في عمل اللوالب التي ترسل الى البلدان الفرنسويَّة وعلى لفها بالورق الازرق الذي اعتاد التجار ان يروها فيهِ . ولما صارت لهُ ثروة طائلة اعتزل العمل الصناعي والتجاري وعكف على السياسة وامرهُ في السياسة معلوم وهو الآن وزير

لمستعمرات البريطانية وصاحب الكلمة النافذة في سياسة الامبراطورية الانكليزية

كروب

معمل كروب الذي تُصنع فيهِ المدافع اكبر معامل المانيا ان لم يكن اكبر معامل المسكونة وقد كان فيهِ سنة ١٨٩٩ نحو ٤٢ الف عامل وكان المكس الذي يدفعهُ في السنة الى الحكومة الالمانية يزيد على مليون من الجنيهات

اسس هذا المعمل كروب الاكبر في اوائل القرن الماضي وتوفي سنة ١٨٢٦ وعمرهُ ٣٩ سنة فقط وترك عملهُ في حالة يرثى لها لا مال ولا عمّال فقام ابنهُ الفرد كروب بعدهُ ورأس مالهِ سرٌّ صناعيّ وهو عمل البواتق من الحديد الزهر واذابة الحديد الصلب (الفولاذ) فيها وكان فتى في الرابعة عشرة من عمرهِ فاعلنت امهُ ان المعمل يبقى مستترًا في عملهِ وان الفولاذ الذي يصنع فيهِ يبقى كما كان في عهد زوجها في الصلابة والمتانة. فقام هذا الفتى بعمل ابيهِ واظهر من الضعف قوةً ولم تمضِ عليهِ ست سنوات حتى صار يستخدم عشرة من العمّال وبعد عشر سنوات أُخرى صار عندهُ نحو مئة عامل وكان لهُ اخوان اصغر منهُ فلما شبّا انضمّا اليهِ وساعداهُ في عملهِ وقد قال بعد ذلك انهُ بقي خمس عشرة سنة لا يربح الّا اجرة العمّال لكنهُ كان مسرورًا بانهُ احتفظ بالعمل الذي خلّفهُ لهُ ابوهُ ولم يهملهُ

ثم استنبط ثلاثة اشياء جمع منها ثروتهُ الوافرة وهي طريقة لعمل الملاعق المعدنية وطريقة لعمل الاطُر الحديدية من غير لحام وطريقة لعمل المدافع من الفولاذ (الصلب). وباع امتياز الطريقة الاولى في بلاد الانكليز بثمن كبير جدًّا واستعمل المال الذي ربحهُ من ذلك للتجارب في عمل مدافع الفولاذ ولعمل الأُطر من الفولاذ لمركبات سكك الحديد. وكانت الاطر تصنع من الحديد الصاج وتلحم لحمًا فتكون كثيرة العطب فنجح النجاح التام في الامرين وحتى الآن لم يزد المخترعون على ما فعلهُ الّا قليلاً جدًّا. ونال الامتياز بأُطرهِ في كل مكان فربح منها ربحًا وافرًا جدًّا وصار لها الشأن الاكبر في اصلاح سكك الحديد وانتشارها في المسكونة. فلهُ الفضل الاكبر في ما نشأ عن انتشار سكك الحديد من العمران لكن شهرتهُ العظمى وثروتهُ الكبرى جاءت عن طريق المدافع لا عن طريق سكك الحديد ففي سنة ١٨٤٧ صنع مدفعًا صغيرًا من الفولاذ (الصلب) وامتحنهُ امام لجنة المدافع البروسية فوفى بالغرض. ولما فتح المعرض العام في بلاد الانكليز سنة ١٨٥١ عرض فيهِ مدفعًا وقطعة كبيرة من الفولاذ ثقلها طنّان ثم اهدى هذا المدفع الى ملك بروسيا فمنحهُ نشان النسر الاحمر. ومن ثم جعل يصنع المدافع من الصلب وحكومة بروسيا تعضدهُ وتجزل عطاياهُ وامراؤها يزورونهُ في

معملهِ ويضيفونهُ في بيتهِ تشديدًا لمتنهِ. وزاد عدد العمال في معملهِ فبلغ ٣٦٠ عاملاً سنة ١٨٥٤ و ٦٩٠ سنة ١٨٥٥ و ١٠٠٠ عامل سنة ١٨٥٨. وكانت الآلات صغيرة لا تقوم بهذا العمل الكبير فابدلها باكبر منها وصنع المطارق البخارية الكبيرة والاتاتين الضخمة وبنى لاتون منها مدخنة ارتفاعها ٢٣٠ قدمًا وقطرها عند قاعدتها من الداخل ٣٠ قدمًا. وظل معملهُ يتسع وعدد العمال يزيد حتى بلغ ٢٠٣٧ عاملاً سنة ١٨٦١ اي عشر اهالي مدينة اسن حيث كان المعمل

واي شيء تطلبهُ دول الارض اكثر من المدافع وهي عماد عزها وحامية حوزتها فلما رأت ان مدافع كروب امتن من غيرها وانتك اقبلت عليها اي اقبال حتى الحكومة المصرية فانها ابتاعت ثمانية عشر مدفعًا منها سنة ١٨٥٦ و ١٨٥٧

وزارهُ الملك وطلم الاول سنة ١٨٦١ ومعهُ ولي عهدهِ فسبك امامهما قطعة من الفولاذ ثقلها تسعة اطنان من ٣٠٠ بوثقة وطرق قطعةً اخرى ثقلها سبعة اطنان ونصف طن وطولها ١٥ قدمًا بمطرقة بخارية ثقلها خمسون طنًا وتحتها سندان ثقلهُ الف ومئة طن فدهش الملك من قوة هذه المطرقة ومن كل ما رآهُ في المعمل وقويت عزيمتهُ من ذلك الحين على مقاومة نبوليون الثالث واحباط مساعيهِ. ومن ثم كثر الطلب على مدافع كروب فصنع مئتين منها سنة ١٨٦٣ وطُلب منهُ ٨١٧ مدفعًا في السنة التالية وبلغ عدد العمال في معملهِ ٤٠٣١ سنة ١٨٦٣ و ٦٤١٣ سنة ١٨٦٤ و ٨٢٥٥ سنة ١٨٦٥ وكان وزن الفولاذ الذي سبكهُ سنة ١٨٦٣ خمسة وعشرين مليون رطل فبلغ سنة ١٨٦٥ مئة مليون رطل

ومما يذكر بالاسف الشديد ان اكثر الاغنياء جمعوا ثروتهم في الحروب كأنها من اسلاب المغلوبين او كأنهم يضرمون نار الحرب بانفسهم لهذه الغاية. والحقيقة انهم يتحينون الفرص ويغتنمونها فمتى طاشت احلام الناس وبادر القائد الى تحلية صدرهِ بوسام الفخار ولو تخضبًا بدماء الابرياء والملك الى توطيد دعائم عرشهِ وتوسيع تخوم ملكهِ ولو ضمَّ الى بلادهِ بلادًا لا يضمر لهُ اهلوها غير البغضاء يبادر رجال المال والاعمال الى الكسب وتوسيع الثروة بتقديم المبرة او بتسليف النقود ولم يشذَّ كروب عن هذه القاعدة فلما نشبت الحرب بين بروسيا والنمسا كان متأهبًا لها فابتاعت منهُ الحكومة البروسية ٨٢٦ مدفعًا وصنع لها ٧٣٦ مدفعًا تلك السنة وكان قد اضاف المناجم والمسابك الى معملهِ لكي يكون مستقلاً عن غيرهِ فسبك تلك السنة ١٢٥ مليون رطل من الحديد او اثنين وستين الف طن وخمس مئة طن

وفُتح المعرض العام في باريس سنة ١٨٦٧ فاغتنم تلك الفرصة لعرض مصنوعاتهِ فيهِ لكي يرى نوَّاب الدول ما يمكن ان يصنع في معملهِ من الغرائب وعرض مدفعًا ثقلهُ نحو خمسين

طنًّا وقطعة من الصلب ثقلها اربعون طنًّا اما المدفع فكان طولهُ خمسة امتار وربع متر وقطر فوهتهِ ٣٥ سنتمترًا وفيهِ اربعون حفرةً لولبيَّة وقد قضى في عملهِ سنة واربعة اشهر جرى العمل فيهِ كل هذه المدة نهارًا وليلاً وبلغت نفقات عملهِ ٦٥٢٥ جنيهًا ثم اهدى المدفع الى ملك بروسيا فبعث بهِ الى كيل لتحصين مرفإها

ومرَّت السنوات الثلاث التالية وكروب يصنع المدافع للدول ويبتاع اسهم مناجم الفحم حتى يستقلَّ بها ولا يبقى تحت رحمة اصحابها الى ان نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ وكان مستعدًّا لها فاثبتت مزيَّة مدافعهِ فباع منها ٩١٩ مدفعًا سنة ١٨٧١ و٩٨٥ مدفعًا سنة ١٨٧٢ و١٨٤٥ مدفعًا سنة ١٨٧٣ و٢٩٣١ مدفعًا سنة ١٨٧٤ مصداقًا لقول من قال مصائب قوم عند قوم فوائدُ . وبلغ عدد المدافع التي صنعها ثلاثة وعشرين الف مدفع . وانهالت عليهِ سمات الاكرام من الملوك لانهم رأوا في مدافعهِ ما يعزز شوكتهم وزارهُ امبراطور المانيا وامبراطور برازيل في معملهِ سنة ١٨٧٧ ومعهما كثيرون من الامراء والقواد

ولما اقيم المعرض الاميركي في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ كان لمدافع كروب المقام الاول فيهِ وهي سبعة اكبرها ثقلهُ ٥٦ طنًّا ونصف طن وثقل مركبتهِ ٣٣ طنًّا ونصف طن لكنهُ لم يقتصر على عرض آلات الهلاك بل عرض ايضًا كثيرًا من ادوات سكك الحديد المصنوعة من الصلب فتعادل الضرُّ بالنفع . ثم صنع مدفعًا اكبر من كل ما تقدَّمهُ ثقلهُ ثمانون طنًّا وقطر فوهتهِ اربعون سنتمترًا وقنبلتهُ تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ قدمان على بعد خمسين مترًا

وتوفي فردرك كروب سنة ١٨٨٧ وخلفهُ ابنهُ الفرد كروب الذي توفي حديثًا فسار في خطوات ابيهِ وجدهِ وزاد على اعمالهما سبك صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربيَّة وابتاع معملاً آخر لعمل هذه الصفائح ولعمل مركبات المدافع وقنابلها واستخدم فيهِ ثلاثة آلاف عامل وتولَّى ادارة شركة الملاحة والهندسة الالمانية في كيل وبرلين وفيها ١٧٧٨ عاملاً وزارهُ امبراطور المانيا سنة ١٨٩٢ فاطلق امامهُ مدفعًا قطعت قنبلتهُ اثني عشر ميلاً ونصف ميل في سبعين ثانية وبلغ ارتفاعها وهي سائرة ٢١٤٥٦ قدمًا

ولما اقيم معرض شيكاغو باميركا سنة ١٨٩٣ بعث اليهِ مدفعًا ثقلهُ ١٢٠ طنًّا وطولهُ ٤٦ قدمًا وثقل القنبلة من قنابلهِ ٢٥٠٠ رطل . وارسال مدفع هذا ثقلهُ من اواسط اوربا الى اواسط اميركا مع ما يقتضي نقلهُ من النفقة والمشقة برًّا وبحرًا لاكبر دليل على علو همَّة الرجل ولم يكن قاصدًا الشهرة مجرَّدةً عن كل منفعة بل كان قصدهُ الاول كما كان قصد ابيهِ وجدهِ من قبلهِ الكسب المالي وتعزيز مقام الصناعة الالمانية

واشتهر معمل كروب بعمل صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربيَّة كما اشتهر بعمل المدافع لخرق دروعها فكأنهُ يجهِّز الدول باقوى انواع المدافع فاذا رأى انها اكتفت منها لانها تتلف بها امنع البوارج صنع دروعاً منيعة للبوارج لا تقوى تلك المدافع على خرقها فلا يعود للمدافع قيمة فيصنع مدافع اقوى منها تخرق الدروع الجديدة فتضطر الدول الى ابتياعها ثم يصنع دروعاً امتن من الاولى لا تفعل بها هذه المدافع فتضطر الدول الى استعمالها وهلمَّ جرًّا . وهو ليس منفرداً في ذلك بل لهُ مماثلون ومناظرون من الانكليز والاميركيين والفرنسويين وغيرهم كلهم واحد وهو تكسب المال والجاه كأنهم في الدنيا خالدون . ولكن الممالك لا تقوم والامم لا ترتقي الاَّ بهؤلاء الرجال وامثالهم من الذين يوطدون دعائم عزها ويعلون منائر مجدها

والاعمال التي تجري في معامل كروب سرِّيَّة كلها لا يباح لاجنبي ان يطَّلع عليها ولذلك لا يؤذن لاحد ان يراها . اما العمَّال فيعتنى بهم اعتناء خاصًّا حتى يكتموا اسرار العمل ويُعطى كلٌّ منهم معاشاً بعد ان يعمل اربعين سنة واذا عجز عن العمل قبل ذلك أُعطي معاشاً يكفيهِ . وكل ما يحتاج اليهِ العامل يجدهُ في بلد المعامل من مأكل ومشرب ومأوى وملهى فلا يضطر ان يخرج منهُ الى مكان آخر ولذلك لا خوف من افشاء اسرارهِ . وهذه المعامل تستخرج حديدها وفحمها وغازها وتصنع قرميدها وتطبع كتبها وفيها مكاتب للبريد والتلغراف ومطافئ للحريق ومدارس وكنائس ومغاسل ومطاعم واندية ومستشفيات وكل ما يحتاج اليهِ الانسان في المدن الكبيرة

وقد بلغ عدد المدافع التي صنعها معمل كروب قبل وفاة رئيسهِ الاخير اربعين الف مدفع . وهو يحرق في السنة اكثر من مليون ونصف مليون طن من الفحم وفيهِ سكتان حديديتان الواحدة واسعة وطولها ٣٦ ميلاً وفيها ست عشرة قاطرة و٧٠٠ عربة والثانية ضيقة وطولها ٢٣ ميلاً وفيها ٢٦ قاطرة و١٢٠٩ عربات وكل هذه العربات لنقل مصنوعاتهِ وفيهِ ٥٩٠ ميلاً من التلغراف و٣٢٨ محطة للتلفون و٤٥٨ آلة بخاريَّة قوة بعضها ٣٥٠٠ حصان وقد بلغ عدد العمال فيهِ منذ سنتين ٤٦٧٠٠ عامل

وقد توفي السر كروب في ٢٢ نوفمبر الماضي وعمرهُ ٤٨ سنة فقط وترك ثروتهُ الوافرة لزوجتهِ ولابنتها العبرى بعدها . ولم يجمع الكتَّاب على مدحهِ لكن امبراطور المانيا نفى عنهُ كل لوم . وقد رسمنا صورة ابيهِ في صدر هذا الجزء لان لهُ اليد الطولى في توسيع معمل كروب وتعزيز شأنهِ وشأن البلاد الالمانية بهِ